الغامض

مسرحية





رولان توبور

ترجمة : أحمد العطار

رولان توبور

الغامض

هذه هي الترجمة الكاملة لمسرحية

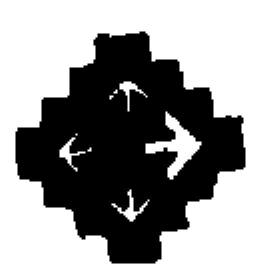
L'Ambigu

Roland Topor

الغامض

تأليف: رولان توبور

ترجمة: أحمد العطار



©جميع حقوق النشر لهذه الترجمة

محفوظة لدار شرقيات

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

دار شرقيات للنشر والتوزيع

٥ شارع محمد صدقي من هدى شعراوي

رقم بريدي ١١١١١ باب اللوق القاهرة

ت ٣٩٠٢٩١٣ فاكس: ٣٩٣١٥٤٨

س ت: ٢٦٩١٩٨

غلاف وإخراج: محمد فتحي

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع

المركز الفرنسي للثقافة والتعاون



قسم الترجمة والنشر

الغامض

تأليف: رولان توبور

ترجمة: أحمد العطار



دار شرقيات للنشر والتوزيع

الديكور

غرفة فسيحة قاتمة الألوان ، مضاءة بأشعة ضوئية مائلة و بها بعض قطع الأثاث الأساسية : طاولة و مقاعد و فراش . طوال فترة العرض يتم إضافة العديد من المرايا مختلفة الأشكال و الأحجام إلى قطع الأثاث . بالغرفة نافذة تطل على شُرفة.

الشخصيات

دون جوان

(الشخصية الناطقة الوحيدة و التي من خلالها تتم كل الأحداث) .

سجانارال

(يؤدي دوره موسيقيّ من الأفضل أن يكون عازف جيتار يشغل ركناً من الخشبة طوال فترة العرض . يمكن أن يكون له ردود أفعال لما يقول أو يفعل دون جوان أو يظل سلبياً) .

من المحتمل أن يكون هناك خيالان

جين :

(جسد يُمثل بعض الأوجه المقلقة للجزء الأنثوي في شخصية دون جوان . سواء عن طريق انعكاس صورة هذا الجسد في المرآة أو من خلال تواجده الخاطف على الخشبة) .

زيلندا

راقصة

المشهد الأول

دون جوان يحلق ذقنه أمام مرآة موضوعة على الطاولة بجانب حوض الغسيل . يحيط عنقه بمنشفة تغطي صدره . بعض ضربات شفرة الحلاقة تساعد على إزالة الآثار النهائية لرغوة الصابون . يضع دون جوان المنشفة على وجهه . يتحول لونها إلى لون الدم . ينظر إلى المنشفة مندهشاً

دون جوان : لقد جرحت نفسي (**يتفحص وجهه في المرآة**) لا مستحيل! لست أنا... هذا لست أنا!!!!

أنا غير قادر على التعرف على نفسي. صحيح هناك فرق بدون اللحية والشارب. لكن غير معقول أن أتغير إلى هذه الدرجة. بالطبع أنا أعرف من أُشبه. فبالرغم من عدم رضاي عن كوني حليق الوجه، فلقد نظرت لنفسي وقتاً كافياً في المرآة لكي ألاحظ انعكاس هذا الوجه الأملس الذي أصابني بالغثيان. فهذه العيون ليست عيوني ولا تلك الحواجب ولا ذلك الفم وتلك الأسنان الصغيرة؟ أين أسناني الكبيرة؟

كانت تنقصني سِنّة في العمق... هاهي!

و هذا الأنف، هذا الأنف الصغير الرقيق لم يكن أبداً أنفي. لقد كان لي أنف قوي مقوس. أنف ذو شخصية.

اختفت الشخصية!

فضلاً عن ذلك، وكما هو واضح، هذا ليس وجه رجل.

بلاشك، فهذا الوجه ذو طلعة أبهى. وجه قمريّ جميل، وبالتأكيد... لامرأة جميلة. غامضة، ليلية، بارعة في التخفي. كانت تعتقد بلاشك أنها في ملاذ أسفل الذقن والشارب لكن قراري المفاجئ بحلاقتهما نزع عنها القناع.

إنها ترتبك وتحمر خجلاً. شفتاها ترتجفان وتتهرب من نظراتي.

(يحاول أن يأسر نظراتها في المرآة) جففي دموعك، لا تخافي من قسوة دون جوان عليك.

المفاجأة فقط كانت سبب حدة نبرتي. لم أقصد الإساءة إليك.

فلم أكن أتوقع قط أن أجد راكبة عابرة متخفية بداخلي!

هل أنتِ جسم غريب عني أم أنك الوجه الخفي لوجهي؟

من أين اتيْتِ؟

كم من الوقت مر على اختبائك بداخلي؟ كيف مرضتُ بكِ؟

أكان ذلك نتيجة لمداعبتي وتقبيلي لهذا الكم من الأجساد النسائية؟

فالتصق جلدهن بأصابعي وشفتي، وانتهى الأمر بأن طغين على بشرتي؟

أمكوّنة أنتِ من قطعة واحدة أم أنك لا تعدين كونك قطعاً مجمعة من خصائص كل منهن؟

تُرى، ألا تذكّرينني بأي من عشيقاتي السابقات... هيلسيا دي سانت كروز... ربما؟ لوكريزيا بيفيلاكا؟...

لا لا أتذكر... فلقد مضى وقت طويل.

لا، في الحقيقة، أنتِ لا تشبهينهن.

هل ابتلعتُكِ عن طريق الفم، كما يصاب المرء بالدودة الوحيدة عندما يأكل لحم خنزير غير مكتمل الطهي؟

أم عن طريق الأنف عند استنشاقي عن قرب لعطرك السام؟

هل تشربت برائحتك، كما تتشرب بها ملابسك الداخلية؟

أنتِ شابة... قد تكونين ابنتي...

هل قذفتكِ والدتك كالكرة عبر أنبوبتي بينما كنت أضاجعها، لتستكملي تكوينك داخل أحشائي؟ أم أن الأم تصفقت إلي جسدي عبر عضوي الصلب؟ هل امتصصتها بشفاطتي الكبيرة؟

أآنتِ الأم أم الأبنة؟

ترفضين الإجابة؟ صورتك تحتجب، نجمك يأفل...

لا ترحلي. انتظري قليلاً... لنتعارف.

لدي الكثير أريد أن أخبرك به. فأنا غني، حر، وعلى أتم استعداد أن أضع نفسي تحت تصرفك وأن أصبح حاميك، وأن أؤمّن سعادتك... وأقدمك للمجتمعات الراقية. خبريني برغباتك؟ ماذا تريدين؟ من آنتِ؟

لا مفر! إنها ترحل! وجهي يغطي وجهها. لقد اختفت!

ها أنا ذا أستعيد كياني. أنا الآن أنا!

فلأتحقق، لو ابتسمت... نعم، إنها فعلاً ابتسامة دون جوان.

فجوة سِنتي المفقودة عادت لمكانها. هاهما عيناي، أنفي وأذناي.

أين هربت؟

في مكان ما بالداخل. بالتأكيد، لم تبتعد. يا...، أيا... (يستمع) إنها تتفادى الإجابة... تختبئ. أقلبها هذا الذي أسمع خفقاته؟

يالها من مخلوقة خجولة، لابد أني أفزعتها.

مقابلة غريبة...

أنا الذي اقتنيت هذا الكم الهائل من الحب صعب المنال،

وتتبعت العديد من الأجنبيات، كنت طوال هذا الوقت كالمحارة التي تؤوي لؤلؤة بدون أن تشعر بوجودها. لم أدرك أنني كنت الصندوق الحاضن لهذه الجوهرة الثمينة.

يالسخرية القدر! دون جوان، الفتان اللامبالي، أنهك قواه باحثاً خارج نفسه عما تحتضنه بداخلها! يا لإهداري الغبي والأعمى لقدراتي وملكاتي.

لقد تركت هذه المتحفظة الشباك المتمثل في وجهي لتأوى إلي مخدعها. واحتمت بظل قريني المستتر.

لن أغامر بالخوض في تلك المتاهة الملتوية خوفاً من أن أُفْقَد في دهاليزها ولكن صبراً! فالآن وبعد أن اكتشفت وجود نزيلة، سأعرف كيف أستميلها إليَّ.

اقترب يا سجانارال واعترف بالحقيقة!

كنت تفضلني ملتحياً؟ بئس الأمر، سأتحلى بالصبر، فَسفُور وجهي هذا يؤمن تنكري.

فعلى الرغم مني، كان لابد لي من اتخاذ تلك الإجراءات الوقائية بأقصى سرعة حتى أهرب من عقاب الرقباء المفتشين المرسلين في أثري. فهم يبحثون عن الفاتن الملتحي الذي فتن أخواتهم، وزوجاتهم وأمهاتهم. لو وقعت في أيديهم فمصيري سيصبح أمراً مفروغا منه. ستتكدس حزم الحطب الجافة أسفل المحرقة وسينفذ صبر الجماهير وهي تنتظر حرقي.

الشِّعر أم الحياة؟

لقد اخترت البقاء حياً، بأن كشفت القناع عن وجهي وفاجأتُ وجهها.

من تكون تلك المرأة؟

لا تصطنع الاندهاش. أُحدثك عن المرأة التي تقاسمني جسدي.

لا فائدة من النفي، فأنت تعرفها جيداً. فلم يكن في مقدورها أن تلج إلى المكان وتمكث بهِ بدون مساعدة شريك. فاشترتك لصفها بسهولة ببعض صرر النقود الممتلئة.

و ربما تكون قد لوَّحت لك ببعض من مفاتنها وأنت مجنون أن تتصور حصولك عليها. على كل حال وبغض النظر عن ثمن خيانتك، فإني أُصرُّ، هل تسمعني، أُصر على أن تزودني بتقرير كامل عنها.

أفرنسية هي؟

لقد كان شكي في موضعه. فإننا لا نجد إلا خلف جبال البرانس مثل هذا المزيج من الخبث والرضوخ، من التواضع والصفاقة.

هي بلاشك من عائلة عريقة. لشدة رهافة جلدها، رأيت دماءها الزرقاء تسيل في صدغيها هل هي مخطوبة؟ متزوجة؟ أرملة! عظيم! متحررة، حرة، ونعم الاختيار!

مِمَّ تهرب؟

من أب متسلط؟ أم من عاشق سريع الانفعال؟ من الدائنين؟ من فضيحة؟

لا؟ من الرهبان اليسوعيين! لقد حلفوا أن يتحدوا ضدها!...
هي بروتستنتية؟
سأنقذها.

كيف تقضي أيامها ولياليها؟ تبكي، تحلم، تقرأ.
حسناً. لا تهوى التطريز؟ أوف! فأنا أخاف وخز الإبر.
تعزف الموسيقى؟ بالطبع هذا الجيتار ملكها فأنا عاجز عن عزف نغم واحد، فلماذا سأحتفظ بجيتار؟
هل تستمع إليها أحياناً وهي تغني؟
أبداً؟
أحزانها جعلتها خرساء.
يا لشقائك يا صغيرتي.
هل تحب الحلويات؟ الفواكه المسكرة؟ البوظة؟
إننا ندعي أن الفرنسيات شرهات. سأسعدها وأخفف عنها بعض الشيء.
حقاً، لقد كنت عديم الإخلاص يا سجانارال. كان يجب علي أن أطردك على الفور لاستهزائك بصداقتي ولكنني على الرغم من ذلك سأوافق على الصفح عنك، بشرط أن تحصل لي على موعد معها.
فلتأتي لتتناول العشاء معي الليلة، في الميعاد الذي يناسبها.
تدبر أمرك لإقناعها. لا تضيع الفرصة الأخيرة المتاحة لك للفوز

برضاي وعفوي. فرفضها سيكون له بالغ الأثر عليك وسيقضي على كل ما لدي من محبة تجاهك.

كن ذا سحر لا يقاوم، متسلطاً، لبقاً، استعمل اللطف والحزم، ولو كان هناك داع فلتلجأ إلى التهديد.

لكنني على يقين، أنك ستقوم بمهمتك الدبلوماسية غير العادية على أكمل وجه.

أسرع لتلحق بها.

انتظر بقي شيء أخير. أحضر لي معك ثوباً، أجمل ثوب تجده، مزوداً بكل الاكسسوارات التي لا غنى عنها، ذهب وأحجار كريمة، شرائط حريرية ودانتيلا، لآلئ وريش وجوارب حريرية. فامرأة فرنسية مثلها لابد وأن تعاني داخل ملابس الفرسان الخشنة التي أرتديها. وستكون بلاشك أكثر سعادة إذا عادت إلى لباس أكثر ملاءمة لجنسها.

لو تأثرت بهذا الاهتمام، فسوف تُكِنُّ لي كل تقدير وعرفان.

في الوقت نفسه، أنا لا أريد مقابلة أحد اليوم. لا أنجليكا ولا بيتينا ولا لوسيانا ولا ماريا ولا باتريزيا ولا أي امرأة أُخرى.

و مع ذلك، لو رأيت الصغيرة زيلندا، لا تنسَ أن تخبرها بأنّي لا زلت ساخط عليها.

المشهد الثانى

طاولة صغيرة مستديرة نصبت من أجل العشاء ومجهزة بأدوات الطعام الفضية والأطباق الصيني والأكواب الكريستال ومحلاة بورود وشمعدان. على طاولة جانبية، الأطعمة الساخنة مغطاة بأغطية فضية تجاور قنينات ذوات لمعان ذهبي وأحمر.
في الظل، دون جوان يتجمل أمام المرآة مرتدياً ثوباً فاخراً.

دون جوان: الجميلة تجعلني أنتظر حتى نفاد صبري.
كم أخشى أن تكون قد ضلت طريقها في متاهاتى الداخلية؟
لا، إنها فقط تلوعني بلهيب الانتظار لكي تؤجج رغبتي.
هذا حقها كرد فعل شرعي، كنت سأتصرف مثلها لو كنت في نفس الموقف.

هأنا قد أوشكت على الانتهاء من العين الثانية. مسحة كحل أخرى على الرمش، فتصبح هي أكثر جمالاً إذا ما هي غضبت.

سأتقبل عن طيب خاطر الهلاك الأبدي من أجل قبلة من هذا الفم المخملي، بمجرد أن تحييه أنفاسها. صحبة محبوبتي ستضيف طعماً لهذا اليوم المضجر. لكن لماذا تقاسي هي الهلاك الأبدي الذي أستحقه أنا وحدي؟ هذا ليس من العدل بشيء فالجزء الأنثوي من كياني بريء، ونقاؤه هو الذي سيخول لي الحصول على حكم مخفف في المحكمة السماوية. جزئي الأنثوي هو طوق نجاتي المنقذ... كالنُفاخ الموجود في داخل جثة الغريق والذي يرفعها إلى السطح.

سأحصل على العفو بالتأكيد.

كم أنا قبيح تحت هذه الألوان التي ستجعل جمالها لا يقاوم!

أنا أتخيل دهشتها عندما تكتشف العناية التي مُنِحت لوجهها. وهذا المظهر الغريب الذي اتخذته لتنعم هي بالراحة، وهكذا تبدو الأدوار معكوسة وكأني أنا الذي أقوم بزيارتها بدلاً من كوني مضيفها. ما تبقى من خواصي الذكورية مختفٍ تحت ثوبي.

عجباً، نفس الشيء ينطبق على رجال الدين!

أوَلَستُ أنا برجل دين؟ مُكرس نفسي تماماً لعبادتها؟

(يحرك مروحة اليد بطرق مختلفة أمام المرآة باحثاً عن أسلوب مناسب لاستعمالها. فجأة يتسمر مكانه، منبهراً)

ملامح وجهي ترتجف وتتفكك، كانعكاس كسرته الأمواج.

ملامحها تحل محل ملامحي، تغمرني، تجليني!

مرحباً بك أيتها الصديقة الغامضة.

يبدو أنكِ فقدتِ القدرة على الحديث لا يهم فلقد أصبحت بليغا في فن قراءة الشفاه.

خبريني، ما أسمك؟

جِن؟

قلتِ جن؟

انطقي بوضوح أكثر.

لا؟ جين!

أوف، أنا أُفضل ذلك! جين ترن كنهاية جون. صلة أخرى تجمعنا.

خبريني يا جين هل يناسبك ذلك الثوب؟ لو لم أكن أنا الذي اخترته لكنت أقسمت أنه صمم خصيصاً من أجلك. كم يناسبك ويغلف قوامك! لكن هناك بعض التثنيات القبيحة عند الصدر... شيء طبيعي، فصدري مسطح وإذا رفضت أن تُظهري صدرك...

كما يحلو لك، كما يحلو لك ... فأنا لا أشتكي، ولا أوجه لكِ أي لوم!

هل رأيتم جمالاً أكثر كمالاً؟ إنكِ مبهرة يا جين! أليس كريم البشرة باهتاً قليلاً ؟

أكان اختيارك سيقع على نفس الكريم؟

هكذا أفضل، الحظ كان نعم النصوع، فكما تعلمين، أنا عديم الخبرة ولست على علم بتقاليع الموضة.

ضعي ذراعك فوق ذراعي، وهيا نتوجه إلى المائدة. هناك حساء الجزباتشو وبيض السمك الوردي وجراد بحري والبوظة وقنينة نبيذ جيريزي معتق.

فلنقرع أقداحنا سوياً. في صحتك يا جين! في صحتك يا دون جوان!

(يملأ كأسين ويقرعهما، ويشرب من كل منهما الواحد تلو الأخر)

آلاف الأسئلة تتلاحق إلى شفتيَّ، لكن لا تُخطئي فهمي وتعتقدين أنك خاضعة لاستجواب. فإن الصداقة فقط هي التي تلهمني. أهم اليسوعيون، أعداؤك الألداء الذين أجبروكِ على الهرب وعلى البحث عن ملاذ بداخلي؟!

إن أعداءك هم أعدائي! ورغم ذلك فلتصحبهم رعاية الله لأنهم منحونا فرصة اللقاء!

كم من الوقت مضى على اختبائك؟

سبعة أعوام؟

كنتِ بالرغم من صغر سنك متزوجة، وأصبحتِ أرملة بهذه السرعة؟

يا صغيرتي المسكينة ، كم أشفق عليك. سبع سنوات في المنفى حبيسة جسد آخر كما في زنزانة. لابد وأن يكون قد أصابك السأم وأنتِ منقادة برغباتي فقط ؟

هل كان دون جوان بالنسبة لكِ أسوأ من الدير؟
كلا، ألم أمتعك في بعض الأوقات؟
المغامرات النسائية التي اصطحبتك إليها، ضد رغبة جسدك المدافع، كانت بالنسبة لك مغامرات ماجنة.
ألم تنجح عشيقاتي في ملء فراغ وحدتك؟ وإن لم تكن بنفس قدر جمالك، اعترفي أنهن أظهرن رغم ذلك بعض المفاتن المغرية.

هل حدث في مرة ودق قلبك أقوى من تلك الأوقات؟ اعترفي بأنهن لم تكن دائماً من أفضل الاختيارات فبعضهن افتقدن النضارة . ولكني أعرف كيف أتمتع بأرداف ملساء أو بمنحنى رقبة عندما يترهل الصدر أو تتغضن البطن.
لكن أتتذكرين فتاة سالامنكا الغرة؟ فهذه دون غيرها كان في استطاعتها تحريك مشاعرك! صافية كقطرة الندى. هل ارتشفناها سوياً؟

هل تحبين حساء الجزباتشو؟ وجراد البحر؟ بعضاً من نبيذ الجيريز؟
صفي لي كيف التقينا. أين تم ذلك؟
في مسرح فيسان الأولمبي؟ في عرض أوديب الملك؟
أتذكر بالفعل تلك الليلة، لكني لم أشعر بأي شيء غير عادي.

بلى فلقد مكثت اليوم التالي في الفراش لإصابتي بنزلة برد شديدة.

أخيراً فهمت، كنت أعتقد أنها نزلة برد بينما كنت أنتِ!

ماذا كانت تفعل فرنسيتي في مملكة فيينا؟

كنت برفقة زوجك المعين سفيراً؟

دعينا من الحديث عن هذا الفقيد. لا تدعي الذكريات الحزينة تفسد حفلتنا الصغيرة. **(يقص رؤوس بعض الشموع)**

أنكِ لا تأكلين شيئاً. وتكادين لا تشربين.

أحسك عصبية المزاج، قلقة، تلقين بنظرات مضطربة على المكان.

هل يقلقك الظلام؟ هذا ليس إلا بعض الحذر للإفلات من فضول سجانارال الذي يتلصص من ثقوب الكوالين.

لا وجود لكمين هنا. أترتابين فيّ؟ لأنهم لابد وأن قصوا عليكِ العديد من الفظائع بصددي.

كاذب، صلف، زنديق، حانث بقسمه، مضاجع للنساء، غير مبال لمعاناتهن ودموعهن، أناني، سالب لللذات.

أعترف بعدم كوني قديساً بلا تجارب، ففي سني هذه يكون ذلك أمراً مؤسفاً وهم الذين بالغوا في الإساءة إلى سمعتي.

الأشياء السماوية، كالآلهة والمجرات لا تستهويني، لا أشعر بأية راحة في المطلق. فلذلك أترك للحشود الجاهلة دراسة الأسرار

الإلهية. قطيع الحيوانات ذوات الوجه الإنساني قد ضل طريقه بين السحب حيث يتوهم رؤية راعي هلامي . الشيء الوحيد الذي يثير هذه الحيوانات، بالإضافة إلى الأكل والشرب، هو أن يتكاثروا حتى يكون لهم ذرية تطابق نموذجهم الخيالي. فيتنافس الذكور في عروض زفافية أمام الإناث المختارة ويتقاتلون ليكسبوا جاهاً ومالاً وتبح أصواتهم ما بين الخطابة والغناء الأوبرالي. ويحصل الأزواج الفائزون على حق التكاثر كمكافأة على جدارتهم.

كان لي تطلعات أكثر دنيوية وأكثر حسية، وبالتالي أكثر عاطفية.

منزوع مبكراً من حب روحاني لأم مجنونة كانت تتخيل أنني ملاك وغير مفهوم من أب فاجر افترسه هوى القمار. متروك لمربية ريفية ترتعب من الشياطين، وبعد ذلك بالتناوب مستضاف ثم مطرود من كل عضو منحط من أعضاء عائلتي الشهيرة.

كنت أُعاني من عطش لا يُروى للحنان. كنت في حاجة لأن أُعانِق وأن يتم معانقتي وتدليلي ومداعبتي وتقبيلي. ليس من أجل التكاثر ولكن لكي أُولَد من جديد حسبما أريد أن أكون. كنت أبحث عن ملمس اللحم العاري أسفل خدودي ذلك الملمس الذي يدفع بالهدوء إلى أساريري.

مفرط في شعوري ببشاعة الوضع البشري لدرجة أنه كان لابد

لي أن أجد بعض الحب الدنيوي الذي يمكنني من حب نفسي.

النساء القلائل اللائي لمست قلوبهن صالحنني مع طبيعتي. بفضلهن نجحت في أن أفهم نفسي وأتحملها. من خلال أعينهن، رأيتني لطيفاً وفتاناً ورشيقاً.

بدون نجدتهن الرحيمة، كنت وضعت نهاية لحياتي منذ مدة طويلة.

و لم لا أرضخ لنزواتهن حتى أحصل على هباتهن؟ وكيف أقاومهن؟

رغبن في أن أتزوجهن؟ فتزوجت بضراوة. بدون أي ندم، بما أن ارتباط الزواج المقدس كان بالنسبة لي مجرداً من أي معنى. والمقصود به هو نوع من الطقوس الصحية قبل التوجه إلى الفراش. إجراء لا غنى عنه للاستفادة من حمام اللحم الذي كنت أحس بأهميته الملحة.

لقد اتهمنني بعدم الإخلاص وبأني متقلب وحانث ليميني. وفي حين أني كنت أحبهن جميعاً، كن جميعهن يبغضن بعضهن البعض.

ربما تكونين قد رأيتهن يزحفن على رُكبهن أمامي ويلوين أذرعهن ويتأوهن ويتضرعن ويلعنني وينادين الموت كحليف لهن ضدي.

النحيب واللوم نسجا أسطورتي المظلمة.

يدعون أنني أتلذذ بأن أجعل النساء يبكين، بدون أن يخطر

ببالهن أن الواحدة منهن تبكي لأني أُرضي امرأة أخرى، وأن بكاء إحداهن ليس إلا نتيجة لسعادة الأخرى.

ألعابهن القاسية انتهت بإرهاقي.

فلقد اكتسبت ثقة كافية بنفسي لكي أستغنى عن أي عشيقة وبدلاً من أن أبحث عنهن، بدأت في الهروب من النساء، احتراما لهن وإشفاقاً عليهن.

و لكنهن لم يكن وحيدات.

فهن لسن أبداً موحودات.

فهناك العائلات!

آه من العائلات!!!

كتائب من الآباء والأخوات والأعمام وأبناء الأعمام وأعداد غفيرة من الأجداد.

أما الأمهات والأخوات البنات والعمات فأنا أعرف كيف أتعامل معهن. فهن في البداية يلعبن دور الغاضبات، ولكن اللسان الذي يبلل شفاههن يخفي كنوزا من التسامح. فأحس كيف أثرت شفقتهن وأخمن قبلهن رغبتهن المشوشة.

الذكور من طينة أخرى!

جيوش كاملة تعهدت ملاحقتي سواء بمضاعفة الأكمنة المتسترة أو بمهاجمتي في سهول الحياة اليومية الرتيبة.

مرهق من تلك الحملات المتعبة ومن الكر والفر والهروب

المستمر، وعلى استعداد لأن أخاطر بكل شيء. ورد بخاطري مخطط جسور. أن أسرع بالالتجاء إلى قصر سري كنت أحتفظ به في مقاطعة المانش وأضحي بلحيتي حتى أمر بدون أن يفطن إلي أحد: فوجهي العاري يمثل أنسب الأقنعة. فأنا لا أتوق في النهاية إلا لمعرفة سكينة الزهد وها أنا ألتقي بك، يا جين الرقيقة، فأنتِ أكثر لذة وأكثر موضوعاً للرغبة وأكثر تسلية من أي جميلة أخرى التقيت بها من قبل.

جسدي ملكٌ لكِ. يمكنك أن تتصرفي به كما يحلو لك، وأن تذهبي إلى أجزائه التي تفضلينها. أصرح لكِ بالتنقيب في ذاكرتي، وقراءة أفكاري. أتركك حرة في الفحص
و التمحيص كما ترغبين وبدون أدنى قيود على أركان عقلي وغرفي المحرمة. أنا لست بذي اللحية الزرقاء! أنا أضع نفسي كاملاً، وبكل تواضع طوع أوامرك. لا تخشى أن تبوحي إلي بأحساسيك شديدة الخصوصية وشكوكك التي لاتزالي تنميها تجاهي.
أبداً لن أخون ثقتك، سأعطيك كلمة شرف. وإذا ما ارتضيتِ في يوم أن تنقذيني من ذاتي، وأحببتني قليلاً لجعلتِ من دون جوان رجلاً جديداً، رجلاً سعيداً.

المشهد الثالث

دون جوان مرتدياً ثوباً وباروكة شعر، يربط ويفك شعره أمام المرآة.

دون جوان: كيف تفضلين نفسك؟ الشعر ساقط على الجبهة هكذا أم مردود على الجانب؟ فهو عندما يُرفع على هيئة كعيكة، يُظهر قيمة الخط الرشيق لرقبتك. لأن الموضوع يتعلق برقبتك أنتِ وليست رقبتي أنا. جسورة أنتِ في انبثاقك قطعة قطعة من جسدي، ذاك ما يسعدني. الحورية الخجولة تترك نفسها للاستئناس.

أه لقد فاجأت قدمك! عرقوب رائع، وربلة ساق ناعمة وركبة مستديرة... شكل وصلابة ذلك الفخذ الممشوق يفتنني.

أحس باختلاج حنجرتك، جلدك اللين له صقل الرخام الحي بعد تخلصه من الشعيرات القبيحة علامة الحيوان. أملس ومعطر كالصابونة الصغيرة التي تطهر يدي وتنحتك على شاكلتها. رغوة ناعمة ترطب أطراف أصابعي. لقد تملكتِ نفسي وأستقريتِ بداخلي.

حلمـاتي تتصلب، كـرتان ناعمتـان وفاترتان كـرأسين لمولودين جديدين انبثـقا من صدري. استريحا في مكانكمـا يا صغيريّ، أخلدا إلى النوم.

ياله من فراغ بين ساقيّ!

أتخبط في البحث عن أعضائي الذكورية التي أختـفت في الضباب. أفخاذك تنضم وتسجن يدي.

ما معنى هذه النزوة؟

ها أنتِ تحتجبين بعد أن كنت تسلمين نفسك!

أتخشين لمساتي؟

هذا ليس دون جوان الذي يتحدث!...

أنا التي أحسست بهذا الحياء الذي جعلني أضم ساقيّ.

لقد كنت جان!

هل تكلمتِ، يا جان؟ إلا إذا كنت أنتِ دون جوان. على أية حال فأنا لا أرى إلا انعكاس صورتي في المرآة.

هذا بالفعل فمي، لكن الكلمات التي نطقها جاءت منك أنتِ.

في مسافة لحظة، أحسست بما تحسين به وأخذتِ أنتِ مكاني.

حبيبتي، لم نكن أبداً بهـذا القرب! إننا نشبه إثنين من البهلوانات ذوى الأجساد المطاطية وهمـا محبوسان في المسـاحة الضيـقة لنفس القفص.

أعضاؤنا وأرواحنا تختلط، متشابكة بطريقة مبهمة. فأنا أحاول

أن أجعل نفسي أصغر ما يمكن، مكوماً في ركن.

استرخي واتخذي وضعا أكثر راحة.

أنسي دون جوان.

تتناولين جيتارك... أصابعك تمس الأوتار مساً خفيفاً تلك الأصوات الرخيمة تضبط إيقاع الوقت الذي يمر، وتفرض عليه التوقف حتى يترك لنا متعة أن يتأمل كل منا الآخر. (صوت مذكر ثاقب)

عاشق ذاته على ضفة مستنقع قديم
يميل برأسه ويمد عنقه
باحثاً عن صورته
لكنه لا يرى إلا الطين
هكذا مات نرسيس الجميل
الوجه مغروز في الطين.

فدائماً ما تتلف الزهور
حالما توضع في آنية
و يتعرف عاشق ذاته على صورته
في قاع حفرته الترابية
و هو يتنهد بخسارة
معرفة نهاية الزهور.

المشهد الرابع

دون جوان: سجانارال!

أين أنت يا سجانارال!

سجانارال! سجانارال!

أنائم أنت يا سجانارال؟ قم. أسرع يا سجانارال!

أسمع، لدي خبر هام أريد أن أخبرك به.

أنصت جيداً: لقد قررت أن أتزوج!

تضحك مستهزئاً؟

هذا هو كل وقع كلامي عليك!

بالطبع، إنها ليست المرة الأولى، لكني أقسم أنها ستكون الأخيرة.

أه، فهمت. قصر نظرك أوحى إليك بأنك تتحكم في مقدرات الكون ولم يعد هناك ما يدهشك ولكن عزيزي سجانارال، عندما يتجاهل العقل السليم الأحداث، يتحول إلى صورة بدائية للغباء.

أنا في حالة حب يا سجانارال.

لقد اكتشفت أخيراً نصفي الآخر الذي أريد أن أتحد معه.

ألهب الهوى قلبي وهلك دون جوان القديم في الحريق.

لو كان لديك طيف من الحكمة فلابد وأن تضع في الاعتبار هذا الحدث الهام في استنتاجاتك وبراهينك.

الواقف أمامك مخلوق جديد، رجل غريب يجب أن تعيد التعرف عليه.

النار المطهرة دمرت انجذابي المميت للآخرين.

سأمتنع عن إقامة علاقات جديدة.

معاصروي من ذكور وأناث لم يعودوا يجذبون اهتمامي.

فهم لا يثيرون فضولي أكثر مما يثير فضولي سرب من السردين.
لقد احتفظت بذكرى مذاقهم في فمي وأصبح هذا المذاق يصيبني بالغثيان.

أريد تغييره.

الوداع يا سردين!

يمكنكن أن تتبخترن أمامي في الملابس الشديدة الإثارة وأن تهززن بطونكن وأردافكن وتحركن صدوركن ولكني سأظل كلوح الثلج.

الوداع يا سردين!

عيونكن المغرورقة بالدموع لم تعد تهز مشاعري.

فدموعكن في ملوحة البحر وعيونكن تفوح برائحة السمك.

نحن لا ننتمي لنفس الفصيلة ولا نشارك في نفس المسرحية.

الوداع يا سردين!

لا أبالي بأنجيليكا أو بيتينا أو ماريا أو باتريزيا؟ ما دخلي بزيليندا مهما كانت رشيقة؟ ما الذي يمكن أن تقدمه لي تلك الصبية المتوحشة، بنت اللحاد سوى الهموم والمصائب والملل؟

جسدها الشديد الرقة والبياض والاستدارة.

إنها سردينة!

المرأة المختبئة تحت ملابسي تُخفي مفاتن أخرى. وجسدها ملكي يا سجانارال فهو بداخلي وأنا حر في أن أطوعه لإرادتي.

وجهها يمكن أن ينزل إلى عانتي وذراعي ينسل في يدها كما لو كنت أرتدي قفازاً.

فمها موجود في أذني ونهداها تحت إبطيّ. أضغط عليهما برفق، هكذا بأن أضم مرفقي لخاصرتي.

عشيقتي السائلة تتنقل بداخل عروقي وتداعب أحشائي لتزودني بمتعة مستمرة ونشوة بلا نهاية.

لقد طلبت يدها، ولم ترفض.

زوّجنا، ياسجانارال. اليوم.

في الخصوصية القصوى. في الحال.

ماذا؟ لم تُعين قساً؟

يا للسخرية! كف عن تلك الحماقات.

فكر قبل أن تتكلم!

ليس هناك قسيس واحد يقبل أن يزوجني نفسي وأنا أعلم ذلك جيداً.

سيكون أمراً سهلاً أن يعترف بتفاهة ديانته.

ستتهمني الكنيسة بالدنس والتَجدْيف والفضيحة.

توحيد الزوجين في جسد واحد لازال امتيازا خاصاً بالله، علاوة على اتحاده بالروح القدس.

مرة أخرى سأُفصَل عن الكنيسة وسأُنذَر للهيب الجحيم أو للهيب الواقعي لمحكمة التفتيش المقدسة.

فلنصرف نظراً عن الدين.

يكفيني زواج مدنيّ.

أنت لست موظفاً مدنياً؟

لا يهم.

أعينك قاضي سانتا مولينو . فلتبدأ المراسم في الحال فأنا أحفظ الصيغة عن ظهر قلب.

السيدة جان، الحاضرة هنا، هل تقبلين السيد دون جوان زوجاً لكِ؟

إنها خرساء، ولكن يفهم كل منا الأخر.

تقبلين؟

أجابت السيدة جان بنعم.

السيد دون جوان الحاضر هنا أتقبل السيدة جان زوجة لك؟

نعم.

ها نحن الآن زوج وزوجة. متحدان في السراء والضراء حتى يفرق بيننا الموت.

شكراً يا سجانارال

كنت ممتازاً.

فلننتقل الآن، إلى خواتم الزواج.

اليد اليسرى... اليد اليمنى... يالها من سعادة.

كن حصيفا يا سجانارال فالزوجان بحاجة إلى بعض من الخصوصية!

هاك مفتاح القبو، أذهب لتشرب بعض قناني النبيذ في صحتنا.

أتركنا.

المشهد الخامس

يظهر دون جوان وحول رأسه طرحة من التُل الأبيض، مرتدياً فستاناً وباروكته وممسكاً بكمية كبيرة من الزهور البيضاء ذات السيقان الطويلة.

دون جوان: أين تختبئين يا حبيبتي جان؟
أردت أن أحملك بين ذراعي لنخطو سوياً أولى عتبات الحياة الزوجية ولكنك اختفيتِ.
يالها من غيبة لا تحتمل!
أين تلاشيتِ هكذا فجأة؟
أنا مدرك أن تواضعك لا يتلاءم مع حفلات الاستقبال الصاخبة فلذلك لم أدع أحداً إلى الحفلة. النظرات تفزِعُكِ فاتبعتى القول المأثور "داري على شمعتك تضئ". أنا وبدون شك معجب بحكمتك ولكن الآن وبما أننا بمفردنا، يمكنك أن تظهري جمالك الساحق لزوجك بدون حياء مصطنع.

(يتمدد على السرير بين الزهور المتناثرة ويبدأ في فك طرحته ولكنه يتلوى فجأة وينتفض منتحباً)

جان! جان! لماذا هذا النحيب؟

ماذا يعني هذا الحزن؟

اليوم يوم فرح أكثر منه يوم حزن.

جففي دموعك ولنستمتع بسعادتنا الجديدة... بدلاً من أن تهدئك كلماتي، يخيل إليّ أنها تثير غضبك. أظافرك تسعى إلى تمزيق وجهي. تطرقين على صدري بقبضاتك الصغيرة المغلقة، وساقاك تجتاحهما حركات تشنجية، وترشقينني برفسات لفرس وحشية... جان اهدئي... عودي إلى رشدك كفي عن ذلك!

(يصفع نفسه صفعتين هائلتين ثم يسقط على ركبتيه)

سامحيني، سامحيني يا محبوبتي!

لم أقصد ضربك ... كنت كالغريبة فدب في الذعر.

اغفري لي!

هل آلمتك؟

انظري، ها أنا أعاقب نفسي وأضربها بقوه أكثر وبعدد المرات الذي ترينه مناسباً...

(يضرب نفسه بعنف على الوجنة الأخرى)

لن أمسك بسوء مرة أخرى.
ابكي كما يحلو لك حتى ترتوي.

ابكي إذا كانت تلك هي رغبتك.
أتحرقك نار الغيرة وتثير في نفسك هذا الخلل المحير؟
تتخيلينني مع زوجاتي السابقات؟
مارينا، كونشيتا، فاليريا، والحاشية اللا نهائية للأسماء التي تنتهي بحرف "الألف"؟
هن لسن إلا أشباحاً تستشعرينهم حولنا؟
بالرغم من تأكيداتي لك، لازلتِ تعتقدين أنني وقعت تحت سيطرة تلك الأطياف وأنني أخشى قراراتها القاسية.
قلق لا طائل منه.

فأنا أبدأ بجانبك حياة جديدة.
ألم يتم الاحتفال بعرسنا بالحفاوة المناسبة؟
هل افتقد ارتباطي المهابة؟
أظهرت كالمُدرب على مثل تلك الاحتفاليات؟
أريد إقناعك بأن تجاربي الماضية، على عكس ما تعتقدين، لم تترك أي أثر في ذاكرتي البيضاء كمنديل يخرج لتوه من الغسيل.
بيضاء كالصفحة التي سوف نملؤها سوياً.

أنا لا أدعي أنها أول صفحة في الكتاب. ففي الفصول السابقة، عشت مغامرات زوجية مختلفة، ولكني كنت إنساناً آخر.

نفترض أني في حيواتي السابقة، عشت أيضاً في صورة ثور أو ذئب أو نمر فهل لذلك ستغارين من البقرات والذئبات والنمرات اللاتي ضاجعتهن في تلك الأزمنة البطولية؟

بالطبع خطابات الغرام التي أحتفظ بها في صندوق الحلى المصنوع من خشب الصندل لم ترسل إلي من مخلوقات حيوانية، ولكن ما الفائدة التي ستعود عليكِ من تدميرها؟

كان يجب علي أن أتخلص منها دون قراءتها، ولكني لم أستسلم لذلك، إما نتيجة لفأل أؤمن به أو لمجرد تعالٍ من ناحيتي.

تطالبينني بإعدام الخطابات حرقاً؟

بما أن غرامياتي السابقة استنفدت فهل لابد من أن تتحول إلى رماد؟

فليكن، سأرضخ لنزواتك، وأنا مدرك تماماً أني أرتكب عملاً شائناً. لأن وثائق القلب، كوثائق المصائر الإنسانية، لا تخص إلا المؤرخين في القرون المقبلة. هؤلاء العلماء النزه المحررون من شرائعنا الدينية وضغوطنا الأخلاقية.

انظري كيف أدمر بدون تردد هذه الرزمة من الخطابات.

كم تحترق بفرح تلك الأوراق التي بالأمس فقط كانت ممتلئة بأصوات القبلات والوعود الحارة. الدموع التي كثيراً ما كانت تنديها تبخرت كما تحللت الكائنات الحسية التي ذرفتها.

الخشب الذابل والخطابات الميتة تمثل وقوداً مثالياً لنار ضخمة ليست بحاجة لأن يُنفخ بها!

هل تُدفئك؟

آه، أخيراً تنازلت وابتسمتِ.

أكفيل هذا الإكليل بإعادة البهجة إليك؟

قُطع إبهام كبير الصاغة الذي رصع هذه التحفة على ضفاف نهر البسفور، حتى تثبط همته ولا يتطور فنه.

هذا الإكليل كان تاجاً ملكاً لأمير تركي استمالته أمي إلى الديانة الكاثوليكية الرومانية الحقة.

أهداها تلك الهدية وهو في قمة إثباته لتجرده من مفاتن الدنيا، ذارفاً دموعاً مريرة.

إنه يناسبك أكثر منها!

دعينا نلوذ أسفل الغطاء، في منجى من فضول سجانارال الذي بلا شك يراقبنا.

لنرحل في رحلة عسل، لما وراء الحدود الحقيرة التي رسمتها العادات وبعيداً عن هذا الإقليم المتخلف حيث لا تعظيم إلا للعذاب.

فلنزر البلاد المشمسة ونتتشِ نوماً وحرية.

فلنقتسم أحلامنا.

الشيء المستحيل حدوثه مع أي امرأة أخرى.

جسدنا هو وسيلة تحركنا المشتركة التي ستحملنا عبر الفضاء والزمن. أثناء رحلتنا سأعرفك بالأماكن والمخلوقات الراسخة في ذاكرتي وستفعلين مثلي.

سترين كيف أن هذا الفراش ماكينة سفر فريدة، تفوق الاختراعات العبقرية لليونباردو العظيم.

سيُحيا الماضي أمام أعيننا ويعود موتانا إلى الحياة.

لا تخشي شيئاً إذا قابلنا زوجَك فأنا لست بشخص غيور.

أكان غيوراً؟

لابد له أن يهدأ.

لأنه لو ظهر في أحلامنا سيكون تحت رحمتنا.

بالحق خبريني، كيف توفى؟

أقضى على شبابه مرض ما؟

مبارزة إذن!

و كان رجلاً مسناً!

على الأقل هل كان دافعه عادلاً وشرفه مصاناً؟

تُرى من قتله؟

أنا، دون جوان؟

يا للهول!!

الكومندان فنسينزوا سكاموزي؟

أي! ياي! ياى

أنا أتذكر جيداً ذلك الساخط!

كان يتتبعني بضغينته العنيدة لأني أغويت أخته فاليريا.

كانت جميلة ولكن لزجة.

عانيت كثيراً لأتخلص منها، وتنفست الصعداء ارتياحاً عندما دخلت الدير، عند مُصلحات الأرواح التي تسعى للتطهر لدرجة أني أحسست بالشفقة عليهن.

و لكن ارتياحي لم يدمْ طويلاً فالأخ كان نسخة من أخته.

كان يظهر بصفة دائمة على طريقيْ كالنصب الحجري.

فاضطررت لقتله لأنعم براحة البال ولكنها كانت رغبته وليست رغبتي.

لو كنت تعرفت عليكِ آنذاك ربما رحمته؟

مع ذلك أنا لست نادماً على هذه المبارزة القاتلة بما أني أدين إليها ببهجتي الحالية.

خبريني هل بكيت كثيراً؟

لا؟

حسناً!

هل صليتِ من أجل أن تقتص مني عدالة السماء؟

هل لعنتني؟

على العكس، خفتِ على حياتي؟

بالطبع لأنك كنت قد ولجتِ بالفعل لأعماقي، أثناء تعجلك للهروب من الدير الذي وهبتك إليه عائلتك المجنونة.

و اليسوعيون يشتاطون غيظاً لعدم تمكنهم من اكتشاف مخبئك.

فادعوا أنك انتحرت واستولوا على ممتلكاتك، هذه هي الطرق التي عادة ما يتبعها هؤلاء الأوغاد.

أنا أعرف غدرهم جيداً.

حرري نفسك من ماضيك الدرامي.

تلك الحبات تحتوي على منوم قوي، فلنبلعها دون انتظار.

هل تشعرين بثقل أجفاننا؟

هاهي، خيول النوم تضرب بحوافرها على أصداغنا.

السرير يرتج بهدوء، ويتمايل... أقبلي!

المشهد السادس

دون جوان: كم هو جميل أن يعود المرء الى منزله!
مرحباً! سجانارال لقد عاد سيدك بعد ستة أسابيع قضاها في الفراش.
لقد فتحت الرحلة شهيتنا فإننا نتضور جوعاً.
المنزل تداعى ويبدو مهجوراً.
هذا الخبيث لابد وأنه في القبو، يلعق ثُمالة القناني التي فرغت بعد أول أسبوع.
لا تظهر عليك الدهشة لرؤيتي.
لقد أبلغوك بقدومي فكنت في انتظاري؟
خبرني كيف يبدو لك العريس الجديد؟
هل صحته جيدة؟
بشعة؟
الخدود هزيلة؟
صحيح، لم نأكل بشراهة ولكن النائم كمن أكل.

ذقني نبتت؟

مٌ تشتكي، ألست أنت الذي كنت تتحسر عليها؟

دارة أسفل العينين؟

ليالينا كانت ملتهبة لدرجة أن أحلامنا أحرقت أغطية الفراش!

شهر عسل فريد!

لو قصصته عليك، لما صدقتني ولذلك فليس في نيتي أن أقصه عليك.

خبرني بالأحرى عن الجديد في هذا العالم الرديء الذي تُفسد بداخله.

و لكن تحدث بصوت خافت، لأنها مازالت نائمة ولا يجب إيقاظها...

حضرت زيلندا كل يوم تستعلم عن أخباري؟

يا للطفلة اللطيفة! والدها اللحاد وافق على التنازل عنها مقابل عنزتين وثلاثة خراف؟

أتعتقد أنه سيوافق على إنقاص شروطه بمقدار خروف؟

في الحقيقة أنا لا أكترث لهذه المساومة البدائية!

بالأحرى خبرني كيف استقبلت سيداتي اللطاف خبر اختفائي المفاجئ؟

هل انقلبت أوضاعهن من القلق؟

أشوهدن وهن يجبن الريف بحثاً عن جسدي الدامي؟

ألبسن ملابس الحداد؟

أيناسبهن اللون الأسود؟

ألا يمكن مواساتهن؟

أيتمنين الموت؟

أم يعتقدن بوجود حيلة الغرض منها خدعتهن؟

بعضهن أردن كبت غمهن فلجأن للراهبات الكرمليات بينما الأخريات أردن الانتحار؟

ماذا؟

لا يوجد أثر لأي بلبلة؟ مضى الحدث بدون أن ينتبه إليه أحد؟

لاشيء أثر في رتابة الوقت خلال الثلاثة أسابيع الماضية؟

اكتشاف مذهل!

الأكثر غرابة هو أن أنجيليكا أدعت رؤيتي بصحبة لوسيندا، كما رآني عشرة شهود آخرون. ورأتني لوسيندا ممتطياً فرستي الشهباء واعدو سريعاً وأورنيلا خلفي على الحصان؟ وفاجأتني باتريزيا في ضوء القمر بين ذراعي شافالا؟

هؤلاء النساء المرهفات وقعن بلا شك فريسة لهلوسات نتجت عن البطالة المفروضة على أجهزة الحب الخاصة بهن!

إلا إذا كان هناك محتال استفاد بخسة من غيابي ليغرر بعشيقاتي!

الفرصة كانت متاحة أمامه! فعندما علم برحيلي في رحلة شهرالعسل مشدوداً للفراش بنصفي الحلو وبينما كنت

أستكشف غياهب النوم، كان الطريق مفتوحاً أمام هذا المتطفل!
و لكن كيف تمكن من معرفة خططي الزوجية؟
من الذي أخبره؟
أنت يا سجانارال؟
أنت أيها الخائن وأنا الذي لم أكن اعتبرك خادماً بل أخاً لي!

طمئني يا سجانارال، تمسك ببرائتك.
لم تتحدث مع أحد؟
و الغرض الوحيد الذي من أجله فتحت فمك كان لشرب محتويات الزجاجات. فالقبو كان منجليتك الوحيدة.
حسناً.
في لحظة، تخيلت أن اليسوعيين يدبرون فعلاً قبيحاً جديداً.

لو ترامت تلك الإشاعات المجنونة إلى أذن زوجتي العذبة، فمن الممكن أن تشك بي وتصدق أنني خنتها وتتخيل أن دون جوان بعد أن جرعها المنوم بمكر، تصنع الرقاد بجانبها لكي يخدعها في أمان.
فإذا حدث ودب الشك في نفسها حتى لو بح صوتي صراخاً بالحقيقة، فسيبقى الشك لأن القضاء عليه أكثر صعوبة من القضاء على القمل في الشعر.

سأفضي إليك بسر يا سجانارال: جان ذات طبيعة غيورة فخوفها الشديد من أن أهجرها يجعلها لا تتحمل وجود أي إمرأة أخرى.

لا رحمة عندها لأي منهن سواء كانت صبية لم تبلغ بعد أو عجوزاً فظة ذات شوارب سواء كن فقيرات أو غنيات، نحيلات أو بدينات، ملساوات أو مستديرات، منحلات أو متزمتات، أحياءً أو أمواتاً، من نصب الخيال أم واقعيات، جميعهن أنداد لها وأقلهن ندية عدوة قاتلة.

إنها تُكِنُّ للنساء بغضاً جنونياً.

فعينها التي تراقبني من ثقب الباب، محتذية بك كمثل أعلى، تقوم بنوبات حراسة أسفل ملابسي الداخلية وهي متحفزة لتكْشف أقل حركة مريبة في غير محلها.

أنا أشك في أنها تعبث بصورة مباشرة بأعضائي التناسلية لتدفعني إلى الخطيئة.

في كل واحدة من المغامرُات التي عشناها بداخل أحلامنا وكنا خلالها محاطين بأغلبية من النساء، تكبدت تأنيبات مروعة متمثلة في مقادير محكمة من الإهانات والتهديدات والدموع والتحنين.

أترى هذا الخدش الذي بأنفي؟

و تلك الكدمة التي بكتفي؟

كان سببها غمزة رمتني بها هندية نصف عارية ورأت هي أنها وقحة.

و خصلة الشعر التي تنقص بالقرب من صدغي خُلعت بشراسة
لأني نظرت بعطفٍ زائد إليّ راقصة هندية ترقص رقص البطن.
تلك الأحداث التعيسة حولت الأحلام الجميلة إلى كوابيس.
لقد أصبحت تحت رحمة ابتسامة بريئة أو رمشة عفوية لجفن.
كنت أخشى أن أحلم بلذات أكثر التهاباً.
فهي لا ترى في كل مكان إلا شبقاً وشهوة.
أتوسل إليك يا سجانارال أن تحرص على ألا توقظ شكوكها أو
تزيد من ريبتها. لا تدع أي مخلوقة تقترب يمكن أن تعتبرها
ندة لها، ولا تدع أي رسالة غرام ملقاة على الأرض.
فلتكن كتوماً كالقبر.
كن حريصاً عندما تخاطبني ألا تكون هي التي تستمع بدلاً
مني.

المشهد السادس

دون جوان في زينته النسائية، منتعلاً خُفاً ذو كعب عالٍ ورافعاً طرف ثوبه. يدور حول نفسه من مرآة إلى أخرى متوقفاً أمام كل منها ليتأمل نفسه بنظرات فاحصة.

دون جوان: لا أجدها هنا... ولا هنا... ولا هنا... أين تختبئين يا جان؟ اظهري!

(يلوي كعبه ويصرخ صرخة ألم. يخلع خفه ويمسك كل فردة في يد)

تلك الأحذية عبارة عن أدوات تعذيب... كيف يتعودن عليها؟
بالطبع مقاس حذائها أصغر من مقاسي... ولكن هذا لا يمنع أني لن أتعود أبداً على هذا الكعب العالي! بالرغم من أني أعشق رؤيتها منتصبة على كعبها العالي كقاعدة التمثال!
و أطراف أصابع أقدامها تكاد تلمس الأرض وتقوس مأبضها يُظهر أستدارة الفخذ الرشيقة والمشية تتحول إلى

رقصة، لتخلق حواراً بين طرفي الساق، بين الأسفل والأعلى، بين أسفل الأسفل وأسفل الأعلى بين وظيفة المشي ووظيفة الحب.

على أية حال فهي لا تزال غائبة. مختفية بدون أي تفسير، بدون كلمة اعتذار، وأظل أنا مزروعاً هنا في هذا الزي المضحك، أهشم كعبي أملاً في أن توافق السيدة الفرنسية على العودة إلى بيت الزوجية. ما الهدف من تلك الزينة المُبتكرة خصيصاً من أجلها والتي تجعلني أبدو كشخصيةٍ من شخصيات الكرنفال.

إذا أهملت ربة المنزل واجباتها والتي من أولها ألا تترك زوجها، فأنا لدي الرغبة في ارتداء ثياب القناص وأضايق زيلندا، وأسترجع رجولتي.

جان تسخر من سلطتي وتجعلني هزأة للخدم.

سجانارال يسخر مني. لدرجة أنه حتى لا يحاول أن يكتم ضحكاته.

أسمعه يقهقه بوقاحة بمجرد ما أدير ظهري له.

و لابد أن أتظاهر بأني لم أسمع حتى لا أفقد مكانتي أمام هذا الخبيث.

عندما فاجأني اللحاد في هذا الزي غير اللائق، كدت أموت خجلاً. الحقير، مقتنع بأنه أمام إحدى نساء العائلة، ترجاني أن

أتولى تعليم ابنتـه. و عرض علي عنزةً وخروفـاً ولكنني بالضغط عليـه حصلت بسهـولة على عنزتين وخـروفين كما يقـول المثل "الجمل بما حمل".

صفقة ناجحة، ستعود علي بنقمة نصفي الغيورة!

كم من المشاحنات العائلية تنتظرني!

كم من المآسي والصياح الكثير!

النفقة تفوق الثمن.

جبل من المعاناة من أجل مكسب بخس معروف مسبقاً.

أنا حتى لست بحاجة لأن أغلق عينيَّ لكي أشعر بجسدها وهو ملتـصق بجسـدي، ولكي أشعـر بحبيبـات جلدها الناعم على أطراف أصابعي وعذوبة ملمس خصلاتها الحميمة.

لن تستطيع بالطبع مفاتـن زيلندا أن تنافس سحـر جان. بالرغم من أن تلك الصغيرة المتوحشة لديها مؤهل قوي:

فهي تبدو أكثر عرياً عندما تكون مرتدية ملابسها.

القماش يذوب في لحمها فتظهر مفاتنها.

بلا تحصين ومُجرد إلى أبسط تعبيراته عن ذاتها، جسدها البائس يكشف أهداف شديدة الوضوح.

سرعان ما تتم حسبة ثروتها الهزيلة:

ثديان، ردفان وثلاث فتحات. هذا كل ما تملك، زادها في الحياة.

بعض البهارات تُضفي مذاقاً لما هو مألوف: فهي تتحرك بدلال وتمتلك صوتاً منغماً وتفرز عطراً لطيفاً ولديها أيادٍ جميلة تمسح بها على خصلاتها...

ساعة واحدة تكفي لاستنفاد الرغبة بينما لو تمالكت نفسي لاستكشاف جسدها وإذا لم أضاجع زيلندا إلا وهي مرتديه لملابسها، ستدوم لي مدة أطول.

أتخيلها وهي تؤدي بهدوء واجباتها المنزلية.

بمجرد ما تترك لي زوجتي بعض الحرية، سأغمرها بجمائلي، بدون أن تغير شيئاً من أسلوبها أو أن تعيرني أدنى اهتمام.

سيكون ذلك بمثابة شرطي الأول والقاعدة المطلقة التي لا تقبل التعديل: لابد وأن تحتفظ بعدم اكتراث تام. كما لو كنت التكملة الطبيعية لملابسها وبريقها الأقصى. طيف جاء لزيارتها. سأمسك بأردافها بين يديَّ المتشنجة، جابياً استداراتها ومولجاً لأعماق طياتها، ليس على طريقة العاشق المحموم ولكن بالأحرى كتنورة تتشكل وجسدها.

سأعض أنا رقبتها وستعتقد هي انها أسنان مشطها.

الآهات والصرخات التي ستحاول جاهدة كتمها ورعشات أقدامها اللينة وترنحها كل هذا سيظهر وكأنه نتيجة لأزمة داخلية.

ستتمالك نفسها وتستند على ركن قطعة من الأثاث أو على الحائط وعيونها منقلبه وخيط من اللعاب يسيل من فمها مظهرةً كل أعراض النشوة الروحانية.

سأبتعد بعد ذلك بدون أدنى كلمة أو قبلة، لأُراقبها وهي تستعيد هيئاتها المعتادة.

سأراها تُعدل زينتها المختلة وتسترد توازنها وفتورها.

ستكون لعبة مبهجة وسأستخلص منها لذة طفولية.

و لكن وبدون أي أوهام أنا أعلم جيداً أن جان لن تقبل ذلك أبداً.

ستتخيل خطأ أنني أخونها.

و التصرف بدون علمها ليس بالشيء السهل بل هو شبه مستحيل.

لن أستطيع أن أخدع يقظتها.

ستعتبره واجباً أن تتدخل وأن تعاقب ابتعادي بعقوبات شديدة الصرامة.

و إذا نجحت بالرغم من ذلك، في اقناعها؟

فلن تقدر على اعتبار زيلندا غريمة!

بما أن زيلندا لا قيمة لها.

فهي ليست إلا شيئاً جميلاً ولكن بلا عقل.

لعبة للكبار.

و لا يغار المرء من دميةٍ كـما لا يغار من كوم من الملابس أو من خيال مآتة.

هل من الممكن أن أطلعها على مخططاتي؟
لو قبلت أن أُشبع نزوة بلا توابع فسيزداد حبي لها.
لابد أن أتحدث معها جدياً على انفراد.

لو كنت فقط أعلم أين اختبأت!
لأي خلوة مظلمة من ذاكرتي زحفت لتطلع على قائمة مغامراتي؟

هل ضلت طريقها أسفل صاقورتي ولا تجد مخرج الطّوارئ؟
هل هو صدى صوت أقدامها الذي يقلق شرودي؟
جان! مهلاً! جان!
لقد خيل لي رؤيتها في المرآة...
لكن لا، هذا لا يتعدى كونه تهيوءاً ناتجاً عن تعبي الشديد وعن الشبه المدهش بينها وبين خيالي المتنكر في صورة امرأة. بينما هي تتأرجح فوق قلبي، تجذب يداها ألياف العصبية المشدودة كحبال الأرجوحة.
هذا العذاب غير محتمل.
أي أرحميني، يا جان!

أنزلي!

ذراعاي يتحركان ثم يقعان بلا حركة.

يدي اليمنى تصعد لوجهي بدون أن آمرها بذلك.

إنها تستولي على أعضائي وتوجهها كما يحلو لها.

أتحرك قسراً كإنسانٍ آلي مختل.

(يتأمل كفه المنبسطة أمام عينيه)

أشيري إليّ إذا كنت هنا.

(الإصبع الوسطى ينثني وينفرد ثلاث مرات)

وقعت في يدي!

(بيده اليمنى يمسك معصمه الأيسر بحيوية)

أمسكتك! تجري بطول خط حياتي وتقفز بقدميها الملتصقتين
على خط قلبي. هيا تعقلي يا
جان...

(يترك معصمه)

لقد هربت

(جسده يهتز ويدور، محمولاً رغماً عنه في رقصة مفككة المفاصل)

إنكِ تتحكمين في تصرفاتي... لا أريد أن أرقص، أتسمعينني،
اتركيني!
أريد أن أجلس... ولكني لا أستطيع.
تستهزئين بي.
الرحمة! الرحمة! سجانارال! النجدة! العون!
(يهز دون جوان ضحك مجنون يحاول كبته)

اسم الله، دغدغة، الآن!
منعني منها الأطباء منعاً باتاً وحذروني لأن جلدي شديد
الحساسية. لا حك ولا دغدغة.
فأنا معرض للإصابة بالسكتة الدماغية.
كفي عن تصرفاتك الطفولية. لا يجب...
لا!
و إذا فاجأنا أحد!
مثل تلك الحركات تنال من كرامة شخص في مركزي.

فأنا كبير أسبانيا وفارس النظام ودوق سانتو مولينو ونائب ملك
بيرو. لا داعي للحك.
أجدادي كان منهم أمير القدس وباشا القسطنطينية وسلطان
المغرب. ذاع صيتهم في المعارك الشهيرة واقتنوا منذ زمن طويل
حق المواطنة والهوية.

لا داعي للدغدغة.

تلك التشنجات والضحكات المعتوهة ستزعج أمي، كونتيسة فايادوليدا العجوز وسينيورا دي هونور للملكة والتي من شدة تقواها كانت قادرة على تلاوة الكتاب المقدس معكوساً وحظيت بالامتياز العظيم في أن تفقد عذريتها على يد أحد بابوات عائلة بورجيا والذي من الممكن أن أكون قد ورثت عنه بعض الصفات الحسنة.

فكري في تلك المرأة الطاهرة القادرة على ممارسة الجنس مع ثلاثة سويسريين في نفس الوقت بدون أن تَنْتزِع من فمي حلمتها التي تطعمني.

تخيلي أبي ومرضه الزهري المحترم، كل منهما معفي من التعري أمام الملك الكاثوليكي المتشدد!

احترمي شعره الأبيض وآثار علاجه بالكي.

كان يمكن أن يعلمك فن الغش في ورق اللعب بثمانية وستين طريقة مختلفة بالإضافة إلى طريقة تاسعة وستين وهو يلوط عبداً مغربياً.

تحكمك الطاغي في يفقدني امكانية الاستجمام.

تجعلينني غير قادر على الصلاة.

و يُنظر إلى ضحكي الصاخب أمام صليب المعذب على أنه تجديف.

فأقهقه وأنا أستمع إلى خبر البعث.

جان، أيتها الفرنسية الفاحشة، ألا تخافي من يوم الحساب؟
دياناتك البروتـستانتـية، التي تُنكر الملائكة وسـر الحمل بلا دنس
أتحتقر أيضاً نهاية العالم؟

نهاية العالم يا جان!

توت! توت!

لن يكون هناك دغدغة

توت! توت!

و لن يكون هناك زغزغة

صه! اسمعي، اصمتي. أتسمعين؟

(موسيقى بعيدة تقترب)

كأنها موسيقى كنائسية. لا إنها سرينادة لعاشق.

غناء موجه لك.

عاشق متهور يجسر على الوقـوف أسفل نافذتي ليهدي زوجتي
أغنية وقحة!

سدي أذنيك.

احتفظي بحيائك.

(صوت رجل يغني مصحوباً بموسيقى الجيتار)

صوت رجل

أنشودتي تخاطب نافذتك
يا تصف دون جوان الشهية
فلتتصدقي عليّ بالظهور
و لا تزيحي عضوي عنك.
يُتباهى في كل مكان بمآثرك البهية،
و بدغدغاتك السعيدة.
بالرطوبة اللينة لأردافك،
و بكرم فراشك،
لدي زهرة بين أفخاذي،
تتسلق حتى شرفاتك،
حيث تزرعين نرجساتك،
التي تنعكس في أفراجك.

دون جوان: ألن ينتهي أبداً هذا الدور الغنائي العفن؟
سأخرسه!

صوت رجل

(يغني) زوجك العاني عبثاً يلعب دور الفتان العظيم
مع أنه لم يعرف السعادة إلا في بيت الراحة.

(دون جوان يفرغ مبولته من النافذة ويتوقف الغناء ويتبعه صرخات ولعنات)

دون جوان: سحقاً، اللحاد!
عار عليك، أيها العجوز المقزز!
سأتولى أمر ابنتك، تأكد من ذلك!
سجانارال! سجانارال! خذ عصاك وأذهب لتضرب لي هذا الغَنِج.
و سأكون بانتظار أن يأتي راكعاً عند قدميً ليلتمس عفوي.
و وَقعْ عليه غرامة. صادر كل عنزاته وكل خرافه.

المشهد الثامن

دون جوان يتدرب على المبارزة. يهاجم ملابس معلقة على حامل ملابس توحي بفارس: قبعة ذات ريش وعباءة وحذاء ذو رقبة طويلة موضوع على الأرض.
تظهر بعض الفوضى على زينة دون جوان النسائية.

دون جوان: سيدتي أنا غير راضٍ عن تصرفاتك السيئة.

فإنك يا سيدتي تشجعين العشاق على المواء أسفل نوافذي وتهمليننى ولا تعتنين بي وفي الأوقات النادرة التي تخصصينها لي فإنكِ يا سيدتي تعاملينني بلا احترام.

إن دورك كزوجة يفرض عليكِ أعباءً وواجبات تتجاهلينها تماماً.

رغبتك المجنونة للاستقلال، بلا شك نتيجة لترملك المبكر، أعطتك يا سيدتي تلك الحرية التي لا تطاق في مظهرك .

أتكبد نتيجة لخطئك يا سيدتي أضراراً جسيمة يمكن أن تجرني إلى نفس المنحدر القاتل كالكومندان المتوفي فينشنزوا سكاموزي والذي دفع حياته ثمناً لأمور متعلقة بالكرامة.

ليس لدي أدنى رغبة في أن أحذو حذوه.

هل تعتقدين يا سيدتي أنكِ تحققين قدرك الطبيعي بفصلي عنك، كما لو كانت الوحدة والأضرار التي ستنتج عنها مصيرك الذي سيحسدك عليه الجميع؟

أم تأملين بابتعادك عني بتلك الطريقة يا سيدتي في تخفيف ثقل روحك بالتخلص من الوزن الميت للجسد الحي؟

هل مصالحنا متباعدة لذلك الحد؟

هل يجب على مصالحنا أن تتضارب كأننا قائدا جيش نتقاتل من أجل التحكم في الجيش على حساب الدفاع عن الأرض؟

أي غرض طموح أردتِ تحقيقه بكل هذا؟

و للحصول على أي نصر؟

سفينة الحياة التي نستطيع قيادتها سوياً هل لا قيمة لها لديكِ يا سيدتي لدرجة تفضيلك إكمال الرحلة سبحاً في المحيط؟

بعد أن تُخضِعي السفينة لعسف نزواتك فتُفسديها وتُخربيها. تستغلين ياسيدتي غناءك الشبيه بغناء جنية البحر لمحاصرة قباطنة أخرين والسيطرة على سفن جديدة أملاً في الحصول على مكاسب أكثر؟

احذري ياسيدتي فأن هذا الجسد الذي يبدو تافهاً في عينيك لدرجة اعتقادك أنكِ تستطيعين تغييره بآخر بدون أي خسائر يخفي في أحشائه قوة تفوق تلك التي تنبع من آلاف البراكين!

فالأتون لا ينطفئ في غمضة عين بل سيحترق طويلاً وستتحول البلاد جميعها إلى صحراء جرداء.

لا تسيئي الظن بي يا سيدتي فليس هناك أي تهديد في حديثي ولا أدنى فكرة للثأر.

فأنا أحدثك يا سيدتي عن الفيزياء وبالتالي عن السحر وأحدثك عن الكيمياء وبالتالي عن الخيمياء.

عالم السحر الذي دخلتِ فيه ياسيدتي خالية البال لن يسمح لكِ بتركه بهذه السهولة.

لن تخرجي منه سالمة.

لقد أعطيتك كل شيء، ولكن كل شيء لا يزال ملكاً لي!

عيونك الجميلة كانت لي، وفمك وأردافك أيضاً.

مفاتنك يا سيدتي، مهما بلغت درجة أنوثتها، هي أيضا ملك لي.

أنا رجل وكذلك أمرأة أما أنتِ يا سيدتي فلا شيء!

على الأكثر دفعة من البخار، أنتجها جسدي المشتعل.

أعترف بأن هذا البخار حجب عني الرؤية ولكن بمجرد ما تبدد الضباب فلازلت أنا البصيرة وما تبصره.

لقد اعتقدت أني أحبك يا سيدتي، ولكني في الحقيقة كنت أحب نفسي وهي تحبك.

ما كان يثيرني في قسمات وجهك وفي ايماءاتك وفي

شخصيتك لم يكن إلا انعكاسي أنا.

صورتك الخفية ولكن المألوفة يا سيدتي أسمت صورتي ورفعتها إلى صورتها المثالية.

معاشرتي المفرطة للآخرين جعلتني أنسى نفسي. لقد ذكرتني يا سيدتي كم أنا مرغوب وفاتن.

أه كم أتفهم الآن جيداً محبوباتي!

لو كن تعرفن علي بنفس الدرجة التي أعرف بها نفسي، والفضل إليك يا جان، لكان إعجابهن في تزايد.

لقتلتهن الرغبة!

أعدتِ إلي قيمتي الحقيقية، ولذلك على الأقل، سأظل دائماً مديناً لكِ يا سيدتي.

من الآن فصاعداً، سننام في غرفتين منفصلتين.

المشهد التاسع

دون جوان مرتدياً قميص نوم، يتقدم بلا ضجة ويتوقف أمام مرآة كبيرة.

دون جوان: هذه المرة، لم أكن أحلم!

لقد أختفت بداخل تلك المرآة.

دلفت في غمضة عين بعد أن أدركت تتبعي لها

واستخدمت بعض الممرات السرية لتهرب من مراقبتي لها.

إذا اكتشفت المدخل، فلسوف تقودني هي إلى عاشقها

لأنها ذهبت للقائه.

فاجأتها منذ قليل من خلال بابها الموارب، وهي تسكب

سيلاً من العطر على كل طياتها. حيطة موحية أكدت

مخاوفي.

وسيلة التشغيل لابد وأن تكون موجودة في مكان ما على

البرواز؟ زِرٌّ يُضغط عليه أو نُتُوء يُلف... سهلة الاستعمال.

لأتأكد إذا ما كان السطح العاكس أملس تماماً؟

وجهي يشبه وجه أوديب وهو يبحث عن حل اللغز الذي طرحه عليه السفنكس.

أشارك كمتفرج في تسلسل أفكاري. يمكن قراءة ما اختبأ من تأملاتي في ذهني بكل سهولة.

الممر!

لقد اكتشفت الممر!

فتحته تنفرج في منتصف جبيني، تنفذ إلى روضتي الداخلية حيث تهتز وتتمايل شجرات كبيرة حمراء تحت وطأة تنفسي.

أسلك درباً مرشقاً بأدغال أسفنجية وبكمية ضخمة من الزهور الخافقة.

هياكل تماثيل كبيرة تزين منصة ضخمة. البوابة الموازبة تصر بشكل محزن. أتقدم بخطاي على سجادة من ورق الشجر المتساقط قبل اوانه وأوراق أخرى تطير في الضوء البنفسجي، لا...، إنه ذباب!...

سرب من الذباب!

أقترب من مقبرة، على شط مستنقع تغطي سطحه عرائس نيلية عفنة وتتسرب منه فقاعات غازية تنفجر مصدرة صوت قذع.

بلوتش! بلوتش! بلوتش!

أُع! يا لها من رائحة مثيرة للقئ.

البوابة البعيدة ترد كالصدى: هي هي هي.

بلوتش! هي بلوتش! هي بلوتش! هي!

بناء غريب يوجد أمامي.

إني أتعرف على سرداب دفن عائلتي.

أنزل الدرجات العاجة بالهامات وكأني أغوص في قلب المراحيض.

تصر الحشرات تحت أقدامي.

يا للعفن.

جثتان متحللتان ممددتان جنباً إلى جنب تنتشيان من الرائحة النتنة الليلية.

جثتا والدي ووالدتي.

أبي... أمي!

عمتما مساء.

كنتما تنتظران زيارتي؟ من الذي أخطركما بمجيئي؟

جان؟

لا، أنا لست جان.

أنا ابنكما، فلا تخجلا مني.

جان هي زوجتي ولكنها تخونني.

أين اختبأت؟

لابد أن تتوخيا الحذر منها. لقد كنت أعتقد أني أحبها ولكنها تتصرف كزوجة سيئة. فبتحويلي إلى أنثى تجعل منكما أضحوكة.

أنا أعاني بسببها.

إنها تريد قتلي.

زد على ذلك أنها قد تسببت بالفعل في موت الكومندان فبشنزوا سكاموزي إذ اضطررت لقتله لكي أرضيها.

ماذا؟

إنه جاركما؟ لم أكن على علم بذلك...
إنكما لا تخبرانني بشيء قط!

إذاً فموعدها معه هو!
لقد كذبت عليّ وادعت أنها لم تحبه قط.
و في الحقيقة هي مرتبطة به أكثر من ذي قبل.
و لتثأر له تزوجتني!

المشهد العاشر

دون جوان مرتديا قميصا أبيضا واسعا وسروالأ أسود وحداء طويلا

دون جوان: سعدة مدهشة تلك التي تعمرني عندما أرتدي ملابسي القديمة من جديد.
لم أكن أعرف قدر ارتباطي بقميصي وسروالي!
الثوب لا يلائمني: إذ تمر من خلاله الكثير من التيارات الهوائية.
لا يعلم المرء أبداً ما الذي يمكن أن يندس من أسفله.
إحساس جميل أن يحتمي المرء بحواجز متينة من القماش.

خيالي المتناسق يستعيد مفاخر رجولته.
أناقة وقوة!
خصيتا الذكر هاتان تمنحانني هيبة مصارع الثيران.
فلنُدخِل الثور في الحلبة!

نتيجة لعدم وجود ثور فستحل جان محله خاصة وأن لدىّ نية التضحية بها بعد سلسلة من المسحات الفيرونيكية المتقنة سأفوز بذيلها وأذنها، وسألتهمهما في مرقة متبلة!

عجباً، خطاب قديم في جيبي؟
أنا لا أتذكر حصولي على هذه الرسالة.
الخط نسائي والورق مُعطر بالياسمين.

(يقرأ) "معشوقي
ألقي إليك بتلك الكلمات العاجلة وأنا مازلت مبللة منك، لأشكرك على إعادتي للحياة بأن غمرتني بالسعادة. فلم أعرف أبداً أحضاناً ملتهبة كأحضانك ولم أكن أعتقد أنه من الممكن بلوغ تلك الدرجة من النشوة.
بما أن زوجتك المسكينة المريضة لم يتبق لها سوى بضعة أيام في الحياة تصدق عليها بأن تساعدها في فراش المرض وحاول أن تجعل أوقاتها الأخيرة أقل عناء.
أنا لست غيورة لأني أعلم أننا سنتنزه مرات أخرى في أراضي اللذة بمجرد ما تترك زوجتك.
أحبك جوان وسأحبك طوال حياتي.

برعمك الوردي الصغير

لا أفهم شيئاً!
لأي امرأة مريضة تُلْمِح؟

من تكون برعمي الوردي الصغير؟
أتتستر أورنيلا خلف هذا الاسم المستعار العبثي؟
إلا إذا كانت لوسيندا؟ أو شافيلا...؟ أو أنجليكا؟
البراعم الوردية تتكاثر في المنطقة!
لقد قطفت عدداً كبيراً منها لدرجة أني لا أستطيع التفرقة بينها.

كيف وصلت تلك الرسالة إلى جيبي؟
فتلك هي المرة الأولى منذ زواجي التي أرتدي فيها تلك الملابس.

آه، الحقيقة تبهرني!
لقد خانتني جان!
عشيقاتي لم يكذبن عندما زعمن رؤيتي وأنا أجوب الحقول أثناء شهر عسلي.
لم يكن مجنونات!
في فترة ستة أسابيع، استعملت زوجتي الماكرة شخصيتي لإغوائهن.

بينمـا كنت أغط في نـومي، كـانت تغـازلهن الـواحـدة تلو الأخرى.
مستفيدة بوقاحة من أكثر غزواتي مجداً.

و لكن كيف أفسر أزمات الغيرة الفظيعة التي انتابتها؟
و أثارها التي أحتفظ بها على جسدي كله؟
و خصلة الشعر المنزوعة؟
و الخربشات؟
هل أكـون أنا الذي كبـدت نفـسي تلك اللطمـات العنيفـة أثناء نومي؟
جائز.
زد على ذلك أني مصاب بنوبات السير أثناء النوم.

و هكذا لم يشاركني أحد أحلامي؟
على أية حال، لم تكن جان.
تظاهرت بابتـلاع أقـراصي المنومـة وبينمـا كنت أغط في نومي قضت هي وقتاً طيباً مع عشيقاتي اللائي لم يلحظن شيئاً.
لابد وأنها اكتشفت ملذات لا يصدقها عقل.
نادراً ما يتاح لأنثى الفرصة أن تنتحل خواص الرجال
أترى هل رفعت رأسي في الفراش؟

أراهن على ذلك.

حقيقي أن الحظ حالفها لتتعلم على يد أفضل الأساتذة، بغض النظر عن النظريات، فلقد علمتها الحب عن طريق الممارسة... بالتجربة!

العاهرة كانت متعبة عند عودتها لفراش الزوجية.

لقد استنفذت قواي لتلتهمني بسهولة.

سجانارال! سجانارال!

أذهب بالمرايا بعيداً! لم يعد لدي حاجة إليها بعد الآن.

فهي تشعرني بالتقزز.

يغمرني بريق الأضواء فأرى نفسي من الداخل بوضوح.

أسرع لتحضر زيلندا.

أعطِ لوالدها اللئيم العدد الذي يرغبه من الخراف والعنزات.

و زده عدداً كافياً من الخنازير والحمير لكي يسلمني ابنته طوعاً أو كرهاً.

تدعي أنها ماتت؟

ماتت؟ زيلندا؟

كيف ماتت؟

ناءت تحت وطأة مرض مدمر!

هي التي لم تكن لها أهمية تذكر و كانت تحتل حيزاً صغيرا جداً من المكان.

وجودها المتواضع كان برغم ضآلته عائقاً كبيراً.

الموت المتلهف قطف عذريتها.

ياله من تبديد!

سجانارال الذي لا يرد أبداً، أين أنت؟

ستهتم بالمرايا في وقتٍ لاحق. لدي مهمة عاجلة أعهد بها إليك.

أنت تعرف ذوقي فيما يخص الفسوق

أحب السذج، ولكن لا أنفر من النساء الناضجات، طالما بقين جذابات.

و مع ذلك، فأنا لا أرفض الصبيان اليافعين ولا المغربيات الجميلات، ولا الأفريقيات البهيات.

جب الريف وعد بما تجد!

و هكذا كنت هنا يا سيدتي طوال تلك الفترة!

يالهيئتك السيئة!

محاجر عيونك عميقة وسحنتك شاحبة وشفاهك مقلوبة

ببسمة هازئة تكشف عن أسنانك

أمريضةٍ إنتِ أيضا يا سيدتي؟

لابد يا سيدتي من أن تستشيري الطبيب!

احذري فيبدو أن هناك وباءً ينتشر...

أنتِ على علم بذلك ولا تشعرين بأي خوف؟

فليكن، هأنا قد اطمأننت.

إذاً فليس هناك ما يعرقل رحيلك يا سيدتي فليس لدي أدنى رغبة لتحمل دسائسك أكثر من ذلك!

خبريني ، قبل أن ترحلِ وتتركينا، هل أستمتعتِ يا سيدتي بعشيقاتي؟

هل أشبعن رغباتك بدرجة كافية؟

أيهن كانت المفضلة لديكِ؟

لا تستطيعين الحكم؟

فهن يتصارعن على الجائزة الأولى في أولمبياد الذكريات!

بطلات على هذه الدرجة العالية من الكفاءة في ألعاب الحب يستحققن المكافأة. هل فكرتِ يا سيدتي في أن تتركي لهن هدية صغيرة؟

بلى؟ خبريني من فضلك ماهي تلك الهدية؟

الموت؟

إذاً فأنتِ الموت يا جان؟

توزعينه بكل سخاء من حولك!

احذري من أن ينفذ إليك في يومٍ ما.

كلا فأنتِ لا تخشي ذلك؟

الموت هوة كلما اغترفت منها توسعت.

هل تعتقدين أنكِ قادرة على مفاجأتي يا جان؟

هل تأملين في أن تسمعيني أطلب منك الرحمة؟

أنا لا أخشاكِ ياجان حتى لو كنتِ موتي مجسداً في صورة إنسية!

تجدين صعوبة في تصديق أنك أسْرتينى من أول نظرة.

لم أكن على علم بشخصيتك الحقيقية وبالرغم من ذلك لم يبرح الشك نفسي منذ اللحظة الأولى حاولتِ جاهدة أن تتصنعي الحنان وأن تلعبي دور العاشقة أو الغيورة...

لكن صمتك كشفك.

جان الخرساء!

آه، كلماتي تخيب آمالك؟
أحس بثقل غيظك!

صادرت إحدى عينيّ، ولكنها لا تكفيكِ فتريدين الأخرى؟
خذيها!
فأنا أهديها لكِ كتذكار.
لقد كنت دائماً أجيد لعب "الاستغماية" ومن فرط ما نميت حاسة اللمس عندي، نبتت لدي عيون على أطراف أصابعي.
سأتقدم إذاً متحسساً وربما في ذلك فائدة.

الدم يتجمد في عروقي، ونبضي يبطئ.
فراغ ضخم يسحق صدري.
عقلي يتسرب من أنفي وفمي وأذنيَّ.
الهواء لا يدخل حلقي.
أشعر بالبرد.
أنفي متجمد ولحمي يتشقق ويتقشر.
سوائل جسمي تتحجر.
و أعضائي تصبح في صلابة الجرانيت.

أحشائي عبارة عن حمم باردة.
لدي كرتان من العقيق أسفل جفنيّ.
الأرض تتحول إلى قاعدة تمثال تحت قدميّ!

انظر، سجانارال، سيدك يتحول إلى تمثال حجري!
الكلمات تتدحرج من فمي كالحصيات الممزوجة بوابل من الرمل.
أنجليكا... أورنيلا... بيتينا... باتريزيا... زيلندا... كم كان في وسعنا أن نعربد!
دون جوان لم يكن أبداً بهذا الأنتصاب والصلابة.
أتمنى أن تستفيدي من ذلك يا جان!

المشهد الحادي عشر

دون جوان مرتدياً قميص نوم نسائي ممسكاً بمروحة يغطي بها وجهه ويكشفه.

دون جوان: كفى، كفى، سجانارال!
ألا تتعرف عليَّ؟
خمن من أكون؟
دون جوان؟
هي! هي! لا لم تُجِد التخمين! لم تُجِد بالمرة.

الذرات اللاتي قامت بتكوينه انقلبت كالجورب القديم.
فتحول دون جوان إلى فجوة سوداء قادرة إلى الأبد على
ابتلاع النجوم بدون أن تبصق بذرة أو نواة.
لقد عوقب دون جوان.
و نال ما يستحق!
لقد أفلت من العقاب لأني بريئة.

هل تستشف الحقيقة؟
و هكذا تراني بوضوح؟

أنا لست إلا امرأة...
مجرد امرأة
امرأة امرأة

جان؟
ادعني جان إذا كان ذلك يرضيك.
يمكنك أن تدعوني كما تريد، لن يزعجني ذلك.
كنت تحسبني خرساء؟
كلا لم أعد كذلك.
أورثني دون جوان صوته حتى يحيا من بعده.
صوته رجولي بالنسبة لي ولكن ما العمل فأنا مدينة له بهذا التعويض.
ثم إنه مع الزمن، ربما نجحت في أن أجعل هذا الصوت تسجياً أكثر.

(يصيح صيحات متتابعة على الفراش ممسكاً بطنه بيديه الاثنتين)

أه جاءني المخاض.

أشعر بالألم! أحس أنه يقترب.

الرحمة. سجانارال، ساعدني!

(يلهث) اغلِ ماءً وأحضر مناشف

أي! أي!

لا! لا!

أنا أموت!

خنجر ينبش في أحشائي.

قم بدور القابلة يا سجانارال!

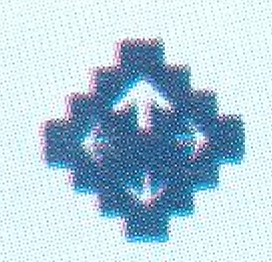
لا أستطيع التحمل أكثر من ذلك!

ملعون طفل دون جوان!

(يصرخ صرخة رهيبة، صداها ليس إلا صرخة طفل)

إنه ولد ياسجانارال ولكنها أيضا بنت.

النهايـــــة



أحدث الإصدارات

الرجل الأول / ألبير كامو
ترجمة: د. كيتي سالم

قصيدة النثر / سوزان برنار
ترجمة: راوية صادق، مراجعة: رفعت سلام

هذا هو كل شيء: مائتا قصيدة من برشت
ترجمة: أ. د. عبد الغفار مكاوي

الأصول الفكرية للحملة الفرنسية على مصر:
الاستشراق المتأسلم في فرنسا / هنري لورنس
ترجمة: بشير السباعي

المثقفون / بول جونسون
ترجمة: طلعت الشايب

هوية مصر بين العرب والإسلام / جانكوفسكي وجارش
ترجمة: بدر الرفاعي

فن الرواية / ميلان كونديرا
ترجمة: أحمد عمر شاهين

